

التفسير المختصر - سورة التوبه (٠٩) - الدرس (١٠٣) ، تفسير الآية ١٠٣ ، حق الفقير على الغني.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢١-٠٨-١٩٩٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين:  
أيتها الأخوة:

الآية الثالثة بعد المائة، من سورة التوبه، وهي قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيْهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَنَاعَتَكُمْ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ (١٠٣)

أيتها الأخوة:

أول شيء يلفت النظر في هذه الآية، أن الخطاب ليس موجة للمؤمنين.

قول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾

(سورة البقرة: ١٨٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا﴾

(سورة التحرير: ٦)

هذه الآية وجهت، لا إلى المؤمنين، بل إلى النبي، ووجهت إلى النبي لا على أنهنبي، بل على أنهولي الأمر، الحاكم.

أحياناً يخاطب النبي، بصفة النبوة.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

(سورة المائدة: ٦٧)

أما الآن النبي مخاطب، لا على أنهنبي على أنهولي الأمر، الحاكم، لماذا؟  
أيتها الأخوة:

الزكاة من حق الفقير، وكاد الفقر كفراً، وحينما ينشأ فارق كبير، بين الدخول بالمجتمع، تنشأ الجرائم، والفساد، والدعارة والسرقة، والاحتيال، فالله جعل المال قوام الحياة.

فحينما نقول للمؤمن صلي، فإن لم يصلني يأثم وحده، صنم فإن لم يصلني، يأثم وحده، أما إذا كلف أن يدفع زكاة ماله، إذا لم يؤدي الزكاة، فسد المجتمع، وانهارت قيمه.  
لذلك الزكاة لم يؤمر بها المؤمن أن يدفعها، بل أمر منهولي الأمر أن يأخذها منه عنوةً، لأنها حق الفقير.

هذا سر أن الآية موجهة، لا إلى المؤمنين، بل إلى النبي وليس على أنهنبي، بل على أنهولي الأمر.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

أما من تقييد التبعيض، ما في مصادره كاملة بالإسلام.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

بعض أموالهم، اثنان ونصف في المائة، من تقييد التبعيض أما كلمة:

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾

جاءت جمعاً ولم تأتي مفرداً يعني جميع الأموال تجب فيها الزكاة، لو عندك مزرعة فريز، مزرعة كرز عسل، أي مال زراعي، مال تجاري، صناعي، أي نشاطٍ في كسب المال، هذا معنى:

﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

من كل أنواع الأموال، إيل، بقر غنم، مزروعات، محاصيل، خضار، فواكه مما أنتجه الأرض معامل، صناعة، تجارة.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

من تقييد التبعيض وأموالهم تقييد كل أنواع المال، تجب فيها الزكاة.  
أما كلمة:

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾

في هم ضمير الجمع، أي الزكاة تجب على مجموع المسلمين، وليس هناك واحد مستثنى من الزكوة، ما في طي ضريبة، استثناء، يستثنى فلان من أحكام المادة كذا وكذا. خذ يا محمد على أنك ولي الأمر، من خذ بعض أموالهم، دع لهم كرائم أموالهم، أموالهم جمع، تقييد الزكوة تجب في جميع أنواع الأموال، وأموالهم، هم تقييد الجمع ضمير جمع أيضاً غائب، تقييد أن كل المسلمين، مكلفون بدفع الزكوة، لا فرق بين فوي وضعيف، ولا غني وفقير.

صدقَةً: هذه آية الزكوة، فلماذا سماها الله صدقة؟ ما سماها صدقة إلا لحكمَة بالغة، لأنها تؤكد صدق المؤمن، الإنسان كله حكي بحكي، لما يدفع الخسميات زكوة ماله معناها صادق، والباقي زعبرة واحد عواطفه إسلامية، واحد تفكيره إسلامي، واحد بتتابع قضايا إسلامية، واحد مشاعره إسلامية واحد بحب الإسلام ينتصروا بالبوسنة مثلاً، هذا كله زعبرة، أما حينما تخرج من مالك، مالاً تدفعه للفقير الآن أنت صادق بآيمانك.

فما سمي الله الزكوة صدقةً، إلا لأنها تؤكد صدق الإنسان، هي خذ ومن وأموال وهم.

﴿صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ﴾

آية طهارة هذه .

قال الفقير يكفر من الحقد، الفقر المحروم حاقد، أساساً كلما انخفض الدخل، والفرق الاجتماعي أصبح كبيراً، تكثر الجرائم والسرقات والاحتيال، تسقط النساء من أجل أن يأكلن.  
فإن ذلك الآية الكريمة:

## ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾

تطهر الفقير من الحقد والغنى من الشح، وتطهر المال من تعلق حق الغير به.  
الحجر المغصوب في دارٍ رهنٍ بخرايتها، إذا دار فيها حجر مغصوب، ربما انهارت هذه الدار.  
وإذا مال في تعلق به حق الفقير، ربما أتلف هذا المال.  
لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

(( ما تلف مالٌ في برٍ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة. ))

إذاً: تطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، وتطهر المال من تعلق حق الغير به.  
لذلك العلماء قالوا: الأموال مهما بلغت، لا تسمى كنزاً إذا أديت زكاتها، والأموال مهما قلت، إن  
لم تؤدي زكاتها فهي كنز:

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوَى بِهَا جَبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظَهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾  
(سورة التوبة: ٣٥)

إذاً المال الذي أديت زكاته، لا يسمى كنزاً، والمال الذي لم تؤدي زكاته يسمى كنزاً، والنبي  
علمنا اللهم صلي عليه:  
برء من الشح من أدى زكاة ماله.

إذا بتقول عن واحد شحيح، وقد أدى زكاة ماله، فقد ارتكبت إثماً كبيراً، مادام أدى الزكاة ليس  
شحيحاً، قد يكون عنده وجهة نظر، يريد تأمين بيت لأولاده، فضغط مصروفه هذا كمال بالإنسان،  
ياك أن تتهم إنسان بالشح، إذا أدى زكاة ماله.

النبي الكريم علمنا:  
برء من الشح من أدى زكاة ماله، وبرء من الكبر من حمل حاجته بيده، وبرء من النفاق من  
أكثر من ذكر الله إكثار ذكر الله براءة من النفاق، وأن تحمل الحاجة بيده براءة من الكبر، وأن  
تؤدي زكاة مالك براءة من الشح.  
هي:

## ﴿وَتُنَزِّهُمْ﴾

طيب:

## ﴿وَتُنَزِّهُمْ﴾

الزكاة في اللغة النماء فالفقير حينما يعطى له زكاة الأموال، محروم، جائع، أولاده في عري،  
يُطرق بابه يعطي الطعام، الشراب، الكساء، اللباس أو المال، يشعر أن مجتمعه، مهمّ به، ترتفع  
معنوياته، تتقابـل مـيولـ الـحـقـدـ، إـلـىـ مـيـوـلـ مـحـبـةـ، فالـغـنـيـ الـذـيـ يـؤـدـيـ زـكـاـةـ مـالـهـ، الـفـقـرـاءـ الـذـينـ حـوـلـهـ  
حراسـ لهـ، أماـ الغـنـيـ الـذـيـ لاـ يـؤـدـيـ زـكـاـةـ مـالـهـ، الـفـقـرـاءـ حـوـلـهـ لـصـوـصـ، يـقـلـبـهـ إـلـىـ لـصـوـصـ، أماـ  
الـغـنـيـ الـذـيـ يـؤـدـيـ زـكـاـةـ مـالـهـ يـجـعـلـ مـنـ حـوـلـهـ حـرـاسـ لـهـ، فـيـ مـحـبـةـ. إـذـاـ مـعـنـىـ النـمـاءـ، نـفـسـ الـفـقـيرـ  
تـنـمـوـ، تـنـمـوـ حـيـنـمـاـ تـشـعـرـ، أـنـ الـمـجـتمـعـ مـهـمـ بـالـفـقـيرـ. شـيـءـ ثـانـيـ: وـنـفـسـ الـغـنـيـ تـنـمـوـ، كـيـفـ تـنـمـوـ؟

حينما يشعر الغني أنه سبب لإشاعة البسمة في نفوس القراء، هذا شعور آخر والمال ينمو بطريقة العناية الإلهية المباشرة، هناك وسائل لنماء المال لكن هناك وسائل خفية، يكرم الله بها المؤمنين، الذين أدوا زكاة أموالهم، بمعنى .

أن الله سبحانه وتعالى قد يصرف عن الغني المؤدي زكاة ماله صفةً خاسرة، الله يعلم لأنّه وقد يلهمه صفةً رابحة، فهو حينما أدى زكاة ماله، ألهمه طرائق في كسب المال، لم يكن يعرفها من قبل .  
إذاً :

### ﴿وَتُرْكِيهِمْ﴾

تنمي نفس الفقير، حينما يشعر أن مجتمعه مهمٌ به، وتنمي نفس الغني، حينما يشعر أنه في قلوب الآلاف والمئات، وتنمي المال ذاته، عن طريق العناية الإلهية المباشرة. يعني في وسائل لكسب المال، وفي وسائل ربنا عزوجل يدخلها للمؤمنين .

يعني واحد أقرض قرض ربوبي، على الآلة الحاسبة، هناك ربح ثابت من هذا القرض، جاء مؤمن آخر أقرض قرض حسن لوجه الله، بحسب الآلة الحاسبة في خسارة، بذلك في تضخم ندي، كل عام سبعة عشرة بالمائة، أنا دينت هل المائة ألف، عادت لي بعد عام أقل بسبعة عشرة ألف ليرة، فأين الربح؟.

ربنا عز وجّل بهذه المناسبة، ييسر لها المقرض القرض الحسن مورد رزق لم يكن يخطر على باله .

إذاً هذه الآية:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيْهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾  
النبي عليه الصلاة والسلام حينما يرى من أصحابه كمالاً وإنفاقاً وبذلاً، وتضحيةً، حينما يرى من أصحابه سمتاً حسناً وسكونةً، ووقاراً، وحبًّا، وتضحيةً، يصلّي عليهم بمعنى، يتوجه إليهم، هذه الصلة من النبي على أصحابه، سكونة لهم .

هذا ما قاله أحد أصحاب رسول الله، اسمه حنظلة، كان في الطريق يبكي، مر به الصديق .  
قال: مالك تبكي يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة .  
قال: ولما يا أخي؟

قال: نكون مع رسول الله نحن والجنة كهاتين، فإذا عافينا الأهل ننسى، عافسنا .  
الإنسان يكون بمجلس علم يشعر بصفاء، بحال طيب، فإذا ذهب إلى البيت، الحاجة غير ميسرة، الأكل غير ناضج مثلاً، علق تعليق فاسي شوي، صار في خصومة، أين الحال الذي كان فيه بالمسجد؟  
إذاً عافسنا الأهل ننسى .

فما كان من هذا الصديق الجليل وهو يمتنع بأعلى درجات الكمال، إلا أن قال لحظلة، أنا كذلك يا أخي، أنا مثالك.

إنطلق بنا إلى رسول الله، فلما انطلاقاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وحدث النبي بهذه المشكلة، قال عليه الصلاة والسلام:

((لو بقيتم على الحال، التي أنتم عليها عندي لصافحتم الملائكة. ))

إذاً: ماذا حصل عند رسول الله ؟

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

(سورة التوبة: ١٠٣)

لذلك الجماعة رحمة، والفرقة عذاب، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَىِ﴾

(سورة الكهف: ٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾

(سورة الكهف: ١١٩)

لذلك:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

النبي الكريم يقول:

((لو بقيتم على الحال، التي أنتم عليها عندي لصافحتم الملائكة ))

ولزارتم في بيوتكم، أما نحن معاشر الأنبياء، فنtram أعيننا ولا تنام قلوبنا اتصال مستمر، أما أنت يا أخي فساعة وساعة، المؤمن ساعة وساعة ليس ساعة معصية، ساعة طاعة، إياكم أن تفهموا ذلك، ساعة إقبال وساعة فتور، أما الاستقامة مستمرة.

هذه الآية أصبحت كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيْهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾

عليهم (١٠٣)

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاحة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحربنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم.

والحمد لله رب العالمين